جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مراكش

ماستر "اللغة والنص"
الفصل الثالث
وحدة "المناهج
اللسانية في النص"

عرض بعنوان:

المنهج التداولي

تأطير وإشراف الأستاذ الدكتور

الحسن بواجلابن

إعداد الطلبة

عبد الإله أيت الهنا -يوسف أوكوجيل -عبدالله بلعزيز

الموسم الجامعي:

2016-2015

تقديم:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى:

وبعد

يعتبر المنهج التداولي من المناهج الحديثة النشأة في الغرب، ولكن لها جذور عميقة في التراث عامة والبلاغة خاصة. من ذلك جهود سيبويه، الجاحظ، الجرجاني، وحازم.

وقد اخترنا في الجانب التطبيقي قصيدة للمتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس يهجو فيها كافورا وهي قصيدة طارت كل مطار، وتلقفتها الألسن عبر الأزمنة والأعصار.

وهذه خطتنا في التناول:

تقديم

- **تقديم**

- **أولا: مفهوم التداولية.**

- البعد التداولي للبلاغة.

- **ثانيا: الجهاز المفهومي للمنهج التداولي.**

ثالثا: خطوات التحليل التداولي.

رابعا الجانب التطبيقي: قصيدة المتنبي في هجو كافور

خامسا: الجانب الملامس من التراث البلاغي للتداولية:

1. الجاحظ.

2. الجرجاني.

3. حازم القرطاجني.

4. إضافات من الدكتور الحسن بواجلابن

. خاتمة

في مفهوم التداولية:

التداولية هي دراسة اللغة، لا بوصفها نظاما أو بنية، بل على نحو ما تستعمل في المواقف التواصلية المختلفة (واقعية أو متخيلة)، أي بوصفها نسقا رمزيا يستخدم من أجل التواصل، فإقامة التواصل بين الناس هو جوهر اللغة الطبيعية ووظيفتها، إذ ليست مجرد تعبير عن الفكر، وأداة لنقل المعرفة وتمثيلها وإبلاغها، ولكنها الأداة الأكثر نجاعة لتحقيق التواصل بين مستعمليها.

إن اللغة منظورا إليها خلال الاستعمال أو الأداة أو الكلام، متجلية في جملة، أو قول، أو نص، أو خطاب، أو محادثة...هي موضوع التداولية الذي أعلنت من خلاله مفارقتها اللسانيات الصورية أو الشكلية (البنيوية، النحو التوليدي)، التي تبنت قرارا إبيستيمولوجيا بإقصاء الكلام عن حقل الدراسة اللسانية، لكونه ظاهرة فردية، غير منضبطة، واكتفت- في المقابل – بوصف البنية اللسانية ذاتها وتفسيرها، بوصفها نسقا من العلامات، أو سننا تتألف من قواعد تركيبية وعلاقات دلالية بعيدا عن قصدية الذات المتكلمةّ، وعن آثار المقام أو السياق، انطلاقا من مبدأ "المحايثة" أي عزل اللغة عن الفكر والواقع ودراستها في ذاتها ولذاتها، على حين أدى اهتمام التداولية بالجانب الاستعمالي للغة إلى تجاوز التحليل اللساني المنطقي، والانفتاح باللساني على المعطيات الخارج- لسانية – ذات الصلة بإنتاجه وفهمه وتأثيره، بحيث تدرس العوامل السياقية والذهنية(الاستدلالية) والنفسية والمعرفية والاعتقادية...

تحدد التداولية الحقل الذي تشتغل فيه وهو دراسة علاقة اللغة أو العلامات اللسانية بمستعمليها أو تعبر عنه أو تبلغه ليس مجرد مضمون، ليس معنى دلاليا تمثيليا بل معنى استعماليا (تداوليا) وليد تفاعل الذوات في موقف اتصالي، وانخراطها في أفعال ونشاطات ليست جميعها ذات طبيعة لسانية، الأمر الذي يدفع إلى النظر إلى اللغة والتعامل معها ... ظاهرة خطابية، وتواصلية، واجتماعية معا...ومن ثم فهي لا يمكن أن تفهم فهما حقيقيا، بمعزل عن أبعادها الاستعمالية والاجتماعية والتواصلية، وما يرتبط بذلك من عمليات ذهنية ونفسية واستدلالية وتأويلية ... أي أن اللغة لا تفهم بعيدا عما تتضمنه من أبعاد تداولية، مما يسمح بالقول بأنه لا ظاهرة لسانية بمنأى عن الدرس التداولي.

اهتمت التداولية بدراسة البعد الاستعمالي للغة من خلال التركيز على قدرتها الخطابية لتحقيق التواصل بين الذوات عبر صيغ وأشكال متعددة، وإلى قدرة هذه الذوات، على إنجاز فعل لساني اجتماعي تواصلي وفق شروط

ومقاصد واستراتيجيات وتقنيات خاصة، ومن ثم كانت التداوليات أقرب إلى لسانيات التلفظ أو لسانيات فعل القول التي تسعى إلى تأمل الملفوظ ضمن نظرية الفعل الاجتماعي-التواصلي.

تهتم التداولية كذلك بدراسة استعمالات العلامات اللسانية في علاقاتها المختلفة (بالعلامات الأخرى، وبالموضوعات، وبالمستعملين أو المؤولين)؛ أي دراسة التلفظات التي هي بمنزلة إنجاز لفعل ما في سياق معيّن بقصد التواصل. وهنا تتقاطع التداولية –بمقتضى روافدها ومفاهيمها ومجال اشتغالها-مع اختصاصات أخرى مثل فلسفة اللغة (وبخاصة نظرية الأفعال الكلامية)، وتحليل الخطاب، والسيميائيات، وعلم اللغة الاجتماعي... وغيرها من العلوم الانسانية والمعرفية، على نحو يصعب (الفصل) بينها، مما كان دافعا إلى القول بوجود تداوليات عدة مختلفة (لسانية، ومنطقية، وفلسفية، ومعرفية وبلاغية) تعتمد وجها من وجوه العلامة عند استعمالها، أو مظهرا من مظاهر سياقها.

التداولية إذن هي:" دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه" كما تُحدُّ أيضا كالتالي: " هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"[1]

البعد التداولي للبلاغة:

"عندما تنظر إلى الظاهرة البلاغية باعتبارها ظاهرة لغوية متجسدة في خطاب، ومتحققة فيه، خاضعة لشروط القول والتلقي، فإننا نكون أمام خطاب تواصلي يمتاز بخصائص بنائية وتداولية تجعله يختلف عن غيره من الخطابات الاخبارية، السردية والحكائية. وبالتالي فإن مقاربة هذا النوع من النصوص سوف تكون مختلفة؟؛ لأن التعامل النقدي في هذه الحالة سيكون مع نوع خاص من التخاطب؛ إذ إن أي محاولة لرصد الصور الأسلوبية والبنائية في القول البليغ ستجد نفسها أمام ظواهر بلاغية(أسلوبية وبنائية وحجاجية)، تحتل فيها القصدية والتأثير والنجاعة مكانة مهمة، مما يفرض على الدارس استحضار مقاصد المتكلم والسياق التداولي الذي يتم فيه التخاطب الأدبي."[2]

إن ما يميز بلاغة النص الأدبي عن غيره من التحققات النصية الأخرى، هو استناده إلى مرجعية أو سياق مشترك بين المخاطب والمخاطب، وبالتالي بروز قيمة القصدية بالنسبة إلى الذوات المتخاطبة، وبذلك ينتمي القول

---

[1]– فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة. دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص19.

[2]- الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، مصطفى الغرافي، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 1، يوليو- سبتمبر 2011، ص266.

الشعري إلى مجال التداوليات، وهو مجال شاسع يسمح لنا بالقول إن هناك تداولية بلاغية، إلى جانب التداولية اللسانية والمنطقية والفلسفية.

فالبلاغة تتحدد بكونها "فنا"، أي مجموعة من القواعد المعيارية التي تتيح الإقناع أولا ثم التعبير الجيد لاحقا، ومن ثم نظر إلى البلاغة بوصفها عتادا بنائيا وتبليغيا يتقصد أساسا التأثير في متلقي الخطاب، وهو ما يكشف عن البعد التداولي والمقامي للبلاغة، إذ يمكن للبلاغة –وبالرغم من طابعها المعياري- أن تصبح "بلاغة وصفية، بل أيضا بلاغة تاريخية وتأويلية تعكس بصورة نقدية وضعية تلقي الشارح (للنص)، إنها مؤهلة في هذه الحالة، لتكون أسس نظرية تداولية النص"[3]

لقد توصل هنريش بليث إلى هذا الاقتناع بعد استعراضه لمقصديات البلاغة القديمة، ورصد طابعها التداولي، حيث كانت البلاغة القديمة تميز بين ثلاثة أنماط من المقصدية:

1-المقصدية الفكرية، وتضم مكونا تعليميا وحجاجيا وأخلاقيا.

2-المقصدية العاطفية، وتضم مكونين أحدهما غائي يكون هدف الإقناع فيه خارج النص، والآخر غير غائي يكمن في إحالة النص إلى نفسه، مما يولد المتعة الجمالية.

3-مقصدية التهييج، وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة التي تسيطر على الجمهور لتحقيق تهييج عاطفي وقتي.[4]

وقد ذهب هنريش بليث باقتناعه إلى إمكان التأسيس لنظرية تداولية انطلاقا من البلاغة إلى أقصى حدودها، عندما رأى أنه " بوسع التداولية النصية أن تأخذ من جديد مفهوم المقام النصي، والوظائف التي تحدد المقامات، وتدمج ذلك كله في نموذج نصي وظيفي".[5]

إن البعد التداولي للبلاغة يتولد من اهتمامها بمفهوم " المقام الخطابي" في سياق بحثها عن المقاصد، وقد ترتب عن توجه البلاغة نحو الأثر التداولي أن وضع المتلقي في مركز الاهتمام، وتنطلق البلاغة في ذلك من تصور يعتبر أن كل نص متضمن بالضرورة لقدر من البلاغة، أو هو بلاغة بشكل من الأشكال، مادام يمتلك وظيفة تأثيرية، " وبهذا

---

[3]- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية...نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، 1999، ص 60.

[4]– الأبعاد التداولية لبلاغة حازم: ص267.

[5]- البلاغة والأسلوبية: ص 32.

فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير، وعندما نفكر، وفق المفاهيم البلاغية، فإننا ننظر إلى النص من زاوية نظر المستمع/القارئ، ونجعله تابعا لمقصدية الأثر"[6]

[6]- البلاغة والأسلوبية: ص 24.

أولا: خطوات التحليل التداولي:

يقتضي التحليل التداولي للنص الأدبي مراعاة مجموعة من الخطوات المنهجية؛ هي في حقيقة الأمر مجموعة من المحطات التي يقف المنهج عندها بغية إبراز خصائصه الدفينة من وجهة نظر تداولية. والمحلل المتسلح بهذا المنهج لا بد له من أن يتعامل مع ترسانة من المصطلحات التي لها تعريفاتها الخاصة، ومرجعياتها المختلفة؛ فلسفية ومنطقية... وهو ما سنحاول إبرازه من خلال هذا الجزء من العرض، لذلك لا بد من أن نعرف أولا ببعض المفاهيم الأساس التي تخص هذا المنهج:

الخطاب -بشكل عام- من منظور تداولي هو موضوع خارجي: يفترض وجود فاعل منتج له، وهو ينتج علاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه، لذلك يقسم الخطاب من هذا المنظور إلى نوعين كبيرين: خطاب مباشر وخطاب غير مباشر.[7]

في النص الأدبي يتم تغيير السنن اللغوي من أجل تقديم الشخصيات وإبراز خواصها، وذلك بإدخال صوت مغاير لصوت "الفاعل في الخطاب" الذي يحتفظ بلغة متجانسة وخاصة به. أما "فاعل الخطاب" فإنه يتداخل مع الشخصية المتكلمة في النص، يتحدث من خلالها، فنحصل على زاويتين للنظر؛ منظور خارجي، وموقف الشخصية المنطوق بلسانها، وهو مايؤدي إلى التداخل بين الفواعل. لذاك فتعدد الأصوات في النص الواحد، لا يكون ناجما عن تعدد الفواعل بالضرورة، وإنما قد يكون ناجما أيضا عن بعض الأبنية التي تسمح بإدخال متحدث آخر في النص؛ من ذلك مثلا: القول الذي يتضمن النفي، فهو يتضمن أيضا جانب الإثبات بشكل ضمني.(نفسه، ص: 93-94).

مما تهتم به التداولية أيضا في تحليل النص، دراسة أشكال التباعد" DISTANCE"، وما تنجم عنه من صور بلاغية؛ من ذلك السخرية، والتهكم، والمحاكاة... وهذا يدل في الغالب على موقف سلبي من صوت آخر متضمن في النص، وفي هذا المقام يُميز بين "المفارقة اللغوية/القولية" و "المفارقة الحالية"، وهو ما سنأتي على تفسيره في حينه، بعد عرض أهم خطوات المنهج التداولي:

1- تحليل الرموز الإشارية:

[7] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 89-91.

يعد تحليل الرموز الإشارية الواردة في النص من أهم خطوات التحليل التداولي للنص الأدبي، والمقصود بهذه الرموز الضمائر، أو "العلامات الإشارية" كما أسماها بيرس، و"الأنوية الخاصة" بحسب تعبير روسل.

إن الضمائر: "أنا"، "أنت"، "نحن"، "هم"،"هما"... إلخ، تحمل كل واحدة منها معان متعددة ومختلفة، وذلك بتعدد واختلاف السياقات التي استعملت فيها، لذلك يجب التمييز بين مدلولها الظاهر، وهو الدلالة على الذات أو الآخر، أو الغائب... إلخ، وبين مضمونها الدلالي العميق، وهو الذي يتحدد بحسب السياق، وهو ما عبر عنه فرنسوا أرمنكو بقوله: "...يخضع هذا لعلاقة استعمال الكلمة، مع ما ترتبط به هذه الكلمة."[8]

يساعد رصد الرموز الإشارية أيضا على الكشف عن مقصدية الشاعر أو الكاتب، أي بصفة عامة؛ المتكلم و ما يدور في خلده باستمرار أثناء إصداره ملفوظاته، وهذا هو المراد بالقصدية؛ حيث يرتبط هذا المفهوم بكل ما من شأنه أن يحفّز المتكلم على تحريك العملية التبليغية، سواء ارتبط ذلك بما تم التصريح به من ملفوظات أم لم يرتبط، وتكتنفه علاقة، أيضا، بوظيفة المتلقي الأساسية، كمساعد في تأويل الملفوظات أو في التبليغ عموما؛ فمن الناحية المنهجية، يلعب القصد دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص، باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل، في هذا المجال، أن يبحث عن هذه المقاصد في كل شبر من ملفوظات المتكلم، هذا من من جهة، وفي مختلف الظروف التي أسهمت في صدور الملفوظات، لذلك فلا بد من مراعاة سياق التلفظ عند استكناه دلالات الرموز الإشارية.

قد تستنتج أيضا دلالات الرموز من خلال بعض الملاحظات، من ذلك مثلا؛ ملاحظة هيمنة بعض الضمائر دون البعض الآخر في النص، أو بتأويلها بحسب ما يقتضيه السياق التخاطبي، فتكشف بذلك عن مقصدية المؤلف، إما في لفت انتباه القارئ إلى ذاته هو، وإما في التركيز على الآخر أو الإخبار عنه.

2- تحديد السياق التخاطبي:

من المهم أثناء التحليل التداولي تحديد السياق الذي يؤطر النص، لأنه هو منبع الدلالات فيه، وبدون تحديده يفقد النص معناه الأصلي، وتُكسى مفرداته المعنى المعجمي، أو المعنى الأول الذي يظهر وتبقى دلالته العميقة خفية ومبهمة.

إلا أنه ينبغي في هذا الصدد الانتباه إلى ثلاثة أنواع من السياقات، كما حددها فرنسوا أرمنك وهي:

[8]- المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، ص: 23

أ) - السياق الظرفي والفعلي والوجودي والإحالي: وهو محيط المخاطبين الذي يحدد زمانهم ومكانهم وأيضا هوياتهم.

ب) -السياق الموقفي أو التداولي: يقصد به السياق المحسوس، كالسياق الثقافي المشترك، حيث تكون مواقفه ومبادئه محددة سلفا.

ج) - السياق الاقتضائي: وهو السياق المفترض، أو المأمول من لدن المخاطبين.

يحضر الحديث عن السياق/ أو المقام التخاطبي بقوة في التراث العربي ضمن المصادر النقدية القديمة، خاصة ما يتعلق بتأليف الشعر، فهذا الأخير يكون في الغالب في حضرة ملك يكون هو الممدوح، وهو الغرض الأساس للقصيدة، فينظم الشاعر قصيدته مراعيا لذلك المقام، قد تحدثت كتب التراث النقدي عن بعض المواقف الطريفة التي تحصل بين الشعراء وممدوحيهم عندما تغيب مراعاة المقام التخاطبي، نذكر من ذلك مثلا:

- الموقف الذي وقع فيه ذو الرمة عندما أنشد عبد الملك قصيدة قال فيها:

ما بال عينيك منها الماء ينسكب   كأنه كلى مفرية سرب

وكانت إحدى عيني عبد الملك تسيل على الدوام لعلة كان يشكو منها، فأحس بأن ذا الرمة يهجوه وليس يمدحه، فغضب وطرده من مجلسه. فتنبه الشاعر إلى خطئه لاحقا، فغير البيت قائلا:

ما بال عينيي منها الماء ينسكب   كأنه كلى مفرية سرب[9]

فيتضح إذن من خلال المثال، أن مراعاة سياق المخاطب كان من صميم تأليف الشعر عند العرب، كما أن الشعراء كانوا على دراية بضرورة مراعاة المقام الذي ينظمون فيه شعرهم.

3) - **الاقتضاء والتضمين:**

[9]- ينظر عبد العزيز جسوس، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص: 113.

يقصد بالاقتضاء، أو الاستلزام، استدعاء الكلمة أو المفردة لمثيلتها أو ضدها في الكلام، ويكون حضور هذه الأخيرة في الغالب حضورا ضمنيا، وهو ما اصطلح عليه فرنسوا أرمنكوا بــ"العلاقة المنطقية للتضمين بين الملفوظات" وأكد على ذلك بقوله: "فالقول باستدعاء ملفوظ لآخر، هو القول بأن من التناقض تأكيد الأول والتنكر للثاني."[10]

من الأمثلة على ذلك أنه قد يرد نفي في نص ما، هذا النفي يؤكد في الوقت نفسه عكس ما ينفيه، كقولنا مثلا: "لا يحب فلان اللون الأسود" فإنه في يتضمن تأكيدا ضمنيا على أنه يحب اللون الأبيض.

4) - المعنى الحرفي والمعنى السياقي:

يصطلح على هذا أيضا بالمفارقة اللغوية/ القولية والمفارقة الحالية، فمن المعروف أن في النص شفرات ومضامين ورموز لكل منها معنى معجمي ومعنى سياقي يتحدد من السياق ذاته، ولكن قد يتعارض المعنيان مما يؤدي إلى أن ينتج عن هذا الثنائية الضدية وهي عكس الثنائية التقابلية. تتمثل الثنائية الضدية في الفرق بين الدال والمدلول من خلال الطبيعة التي قد يحملها المدلول والتي تؤثر على السياق العام للنص. وللثنائية الضدية معنى آخر وهو المقابلة الضمنية والتي لا يمكن التوصل إليها إلا بإعمال الفن والذوق وهي بطبيعة الحال تختلف من متلق إلى آخر فلكل وجهة نظره وقراءته الخاصة للنص.

يُراد بالمعنى بالمعجمي: المعنى الذي نَستقيه من المعجمات المختلفة، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ، الذي سُمّيَ المعنى المركزي أوالأساس. أمّا المعنى السياقي: فهو الذي يُستقى من السياق اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النص، أومن السياق العام للكلام، إذ تخضَعُ الكلمة للعَلاقات المَعنويةّ والظروف الحاليّة والتعبيريّة المُحيطة بها، التي يأتلِفُ بعضُها مع بعضٍ لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة الذي سُمّي الإضافي، أو المعنى الثاني. والفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني.

ويمكن القول إن لكلّ كلمة معنىً معجمياً، يُمثّل معناها الحقيقي ومعنىً تاريخياً تكتسبه بفعل الاستعمال العُرفي، ومعنىً ظرفياً آنياً تكتسبه في سياقات خاصة وظروف محددة يعيشها المتكلم .فالمعجم قنن المعنى للفهم التقريبي المشترك بين الناس، فللكلمة أكثر من معنى تصريحي وآخر إيمائي نظرا للتداعيات التي يمكن أن تحدثها أثناء الاستعمال، فأي كلمة قد تستدعي قيما اجتماعية أو ثقافية أو حتى قيم انفعالية تعكس صورة قائلها فتحدد بعض

[10]- المقاربة التداولية، ص: 28

ملامح الجانب النفسي. فالنص في كلام المتكلم لا يوجد منفرداً عن بقية أجزاء الكلام ونصوصه، بل هو مساق معها سوقاً ، ليؤدي المجموع المعاني التي يريدها المتكلم .

5) -تصنيف أفعال اللغة:

الأفعال اللغوية Speech Acts, بشكل عام، مصطلح يستعمل في حقل اللسانيات, وفقه اللغة. يعود استعماله في العصر الحديث إلى الفيلسوف جون أوستن J. L. Austin، الذي قدم للنظرية من خلال بحوثه في الأفعال الأدائية، خصوصا ما أورده من أن لكل فعل لغوي ثلاث خصائص هي (فعل دال، لفظي) و (فعل إنجازي, وظيفي) و (فعل تأثيري). الأفعال اللغوية بشكل عام يمكن أن تُستعمل للدلالة على: القسم، والطلب، والتحية, والإنذار, والدعوة و الشكر. كما أشار إلى ذلك فرنسوا أرمنكوا.[11]

بالإمكان تحليل الأفعال اللغوية بناء على ثلاثة مستويات:

- الفعل اللفظي: ويعني أداء التعبير، وهو التعبير الواقعي، ومعناه الظاهري المكون من أصوات تنتظم في تركيب نحوي صحيح, له معنى محدد.
- الفعل الإنجازي: وهو مايؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي؛ وهذا يعني-حسب أوستن-أننا عندما نتلفظ بفعل الأمر مثلا، فإننا نقوم بذلك الفعل من خلال التلفظ.
- الفعل التأثيري، يمثل الأثر الواقعي للفعل على السامع، كأن يكون إقناعا، أو تخويفا ..., أو جعل شخص ما يقوم أو يدرك شيئا محددا, عن قصد منه أو غير ذلك.

أ) - أصناف أفعال اللغة الإنجازية:

بحسب ما أورده سيرل (1975) ، فقد حدد خمسة أصناف للأفعال الإنجازية هي:

- الإخباريات Assertives وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بحقيقة الغرض القضوي المتحدث عنه، أي أنه ينقل الواقع كما هو، مثال: قراءة ورقة حكم.

[11]- المقاربة التداولية،ص: 32.

- الموجهات "Directives" "وتعني الفعل اللغوي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين، المثال: يطلب، يأمر, ينصح.
- الإلزاميات والتعهديات "Commissives" "وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بفعلٍ أو الالتزام بشيء في المستقبل، مثال: يعد.
- المعبرات "Expressives" تعني الفعل اللغوي الذي يعبر من خلاله المتكلم عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض. مثال: يهنئ، يعتذر، يشكر.
- الإعلانيات "Declarations " تعني الفعل اللغوي الذي يغير الواقع بما يتوافق مع المحتوى القضوي (الحدث) للإعلان. مثال: يعلن خبرا ما، أو قرارا معينا.

ب) - الأفعال اللغوية غير المباشرة:

تظهر هذه الأفعال أكثر في الخطاب الأدبي، تقابلها الأفعال المباشرة، وترد في الخطاب اليومي التواصلي؛ أما بالنسبة إلى الاستعمال الأدبي، فإنه قد يرد فعل لغوي يقصد به فعل لغوي آخر غير ذلك الظاهر، أنظر إلى قول الله عز وجل مخاطبا الكافر وهو في جنهم: "ذق إنك أنت العزيز الكريم". ونجد لهذا شبيها في البلاغة العربية؛ وهو ما يسمى بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

قال الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد إنك أنت الطاعم الكاسي

أولا: الجهاز المفهومي للمنهج التداولي:

1- متضمنات القول les implicites

جوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره:

من أهمها:

أ. الافتراض المسبق Pré-supposition الانطلاق من معطيات وافتراضات مسبقة معترف بها ومتفق عليها بينهم وهذه الافتراضات ضرورية لإنجاح العملية التواصلية:

مثال:

ففي الملفوظين:

1. أغلق النافذة.
2. لا تغلق النافذة.

افتراض مسبق هو كون النافذة مفتوحة.

فائدة: مسألة الفروض المسبقة لها وظيفة تعليمية ديداكتيكية تتمثل في أنه لا تعليم لجديد إلا بافتراض وجود أساس مسبق.

ب. الأقوال المضمرة: تقول أوكيوني :" القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها في الواقع رهن خصوصيات سياق الحديث".orechioni,l implicite, P :39

مثال:

- إن السماء ممطرة

السامع قد يعتقد أن المطلوب هو:

↲ المكوت في بيته

↲ أو الإسراع إلى عمله حتى لايفوته الموعد

↲ أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر

↲ أو عدم نسيان مظلته عند الخروج.

...وتبقى قائمة التأويلات طويلة.

2 الاستلزام التخاطبي: لقد لاحظ غرايس أن جل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي.

مثال:

الأستاذ أ: هل الطالب ج مستعد لمتابعة دراسته في ماستر اللغة والنص؟

الأستاذ ب: إن الطالب ج لاعب كرة ممتاز.

فالجملة الأخيرة تحتمل معنيين:

معنى حرفي: الطالب ج لاعب كرة ممتاز.

معنى مستلزم: الطالب ج غير مستعد لمتابعة دراسته في ماستر اللغة والنص.

والقاعدة التي تم خرقها هنا هي قاعدة الملاءمة حسب القواعد التي نص عليها غرايس، وتسمى هذه الظاهرة أيضا ب (نظرية المحادثية L'implication conversationnelle)

قاعدة: نكون أمام ظاهرة الاستلزام التخاطبي إذا تمّ خرق إحدى القواعد أو المسلمات الأربع التي يحتويها مبدأ التعاون عند غرايس، وهذه المسلمات هي:

1. مسلمة القدر
2. مسلمة الكيف
3. مسلمة الملاءمة
4. مسلمة الجهة

غرايس تنميط العبارة

معاني صريحة: المحتوي القضوي/ القوة الانجازية

معاني ضمنية: معان عرفية معان تخاطبية

الآية:" هل إلى مرد من سبيل"

المعنى الصريح:

مكون المحتوى القضوي: الرجوع إلى الحياة الدنيا مرّة أخرى.

مكون القوة الإنجازية الحرفية في هل: الاستفهام

المعنى الضمني:

معنى عرفي هو الاقتضاء؛أي: اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا

معنى تخاطبي استلزامي: تمني المتكلمين من الله سبحانه وتعالى أن يردّهم إلى الحياة الدنيا.

2- نظرية الملاءمة Théorie de la pértinence

هذه النظرية أرسى معالمها كل من:

1- **ديدرو ويلسن D.Wilson**
2- **دان سبربر D.Sperber**

حيث تم إعادة النظر في نظرية غرايس، فقلصت محتواها مقتصرة على مبدأ الملاءمة كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة.

ويعد تعميما للتواصل الموصوف ب: المناسب الاستدلالي:Ostensive-inferntial

- ✓ المناسب: لأن المتكلم يستعمل المثير Stimulus الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته.
- ✓ استدلالي: المتكلم يستدل على القصد الإخباري، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم.

مبدأ أساسي:

كلما قلّ الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهد كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة.

3- الفعل الكلامي:

كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري هو نشاط مادي نحوي يتوسل بأفعال قولية Actes Locutoires من أجل تحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ) وغايات تأثيرية Acte perlocutoires تخص رد فعل المتلقي كالرفض والقبول.

الفعل الكلامي الكامل عند أوستين:

1- فعل القول: قول شيء معين أو التلفظ بكلام ما
2- الفعل المتضمن في القول: إنجاز فعل اجتماعي ضمن قول شيء ما
3- الفعل الناتج عن القول: الآثار المترتبة على قول شيء ما.

استحضار سيبويه العناصر المقامية في تفسير الظاهرة اللغوية:

يتعلق الأمر بمسألة حذف فعل الأمر والنهي، فمن الأبواب التي عقدها لمقاربة مثل هذه المواضيع قوله: هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرجل مستغن عن لفظك بالفعل"[12] وهو الباب الذي اختص برصد التراكيب التي يحذف فيها فعل الأمر والنهي جوازا ووجوبا.

ولنضرب مثال على ذل قول القائل:

- زيدا، وعمرا، ورأسه.

ويراد بهذا الكلام أن المتكلم رأى رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفى بما رآه، ولم ينبس بالفعل لدلالة المقام عليه، فتلفظ بالجملة السابقة مستهدفا تسليط المخاطب على زيد وعمر ورأسه. فكأنه يريد أن يقول:

أ. أوقع عملك بزيد وعمر ورأسه.

ب. أو: اضرب زيدا، واشتم عمرا، واقطع رأسه.[13]

[12] - سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، 1983، ج1 ص 253-255.

[13] - ينظر: التداوليات: علم استعمال اللغة : مقال بعنوان: الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه: الأمر- النهي نموذجا. نعيمة الزهري ص: 493-514.

ثانيا: أهم المفكرين العرب في الحقل التداولي:

نذكر من بينهم:

1) طه عبد الرحمن
2) أحمد المتوكل
3) حسن الباهي
4) عبد الفتاح الفرجاوي
5) محمد العبد
6) منال النجار
7) ادريس سرحان
8) خليفة المساوي
9) مسعود الصحراوي
10) محمد الداهي

وغيرهم.......

تحليل قصيدة المتنبي:

السياق التداولي للقصيدة:

إن المنهج التداولي منهج قائم على قدر كبير من الكفاية في مقاربة الخطاب، لكونه يهتم بالخطاب (النص) في صيغته المتحققة فعليا، من جهة، وبكل ما هو محيط (خارجي) ومساهم في خلق تلك الصيغة، من جهة ثانية. وعليه يغدو لكل خطاب وجهان مختلفان متكاملان، أحدهما متحقق وهو "داخل الخطاب"، والثاني غير متحقق وهو "خارج الخطاب" أو ظروفه وملابساته.

وفي هذا الإطار وقبل ولوج تحليل قصيد المتنبي، لابد من تحديد ما تطرقنا إليه سلفا ووسمناه بالفروض المسبقة، والتي يمكن طرحها من خلال مجموعة من السياقات تندرج في إطار سياق عام هو السياق التداولي كالتالي:

1- **السياق التاريخي:** لنطرح السؤال التالي هل كان كافور الإخشيدي أهلاً لهجاء المتنبي اللاحِق، أم كان أهلاً لما قدم فيه من الثناء؟ إذا نظرْنا من جانب الاقتدار والمواهب ومِن جانب التديُّن، فنحن أمام رجل (كان شهمًا شجاعًا، ذكيًّا، جيِّدَ السيرة، مدَحَه الشعراء)؛ هكذا قال ابنُ كثير عنه في تاريخه[14].

ولو لَم يكن كافور الإخشيدي حاكمًا مُقتدرًا بارزًا في عصْره لما قصده المتنبي في مصر، وكفَى بهذا مكرمةً، ولو لم يكن كافور من الفِطنة والاقتدار في الحُكم، لَمَا مدحه المتنبي بأفضل شعرِه، فإنَّ ما قاله المتنبي في كافور مِن مدح وثناء يتجاوز رونقًا وجمالاً ما قاله في غيره. وليس في عبوديةِ كافور من عيْب إذا علمنا أنَّ يوسف -عليه السلام - وهو الكريم ابنُ الكريم قدِ ابتلاه الله بشؤمها، فبِيع في مصر بثمن بخْس دراهمَ معدودة، ثم يتحوَّل بعد ذلك إلى الحاكِم الفِعلي في مصر، فإنَّ لكافور الإخشيدي تجربةً مشابهةً في كسر حَواجِز العُبودية وقُبْح المنظر، حتى اعتلى سُدَّة الحُكم في مصر، فقد بِيع في مصر بثمانية عشرَ دينارًا...ومع ذلك فقد وظف المتنبي هذا المعطى في وصف كافور بأقدح النعوت..

2- **السياق النفسي:**

14- تاريخ ابن كثير: سيرة كافور الإخشيدي.

وصل أبو الطيب إلى مرحلة اليأس والقنوط والإحباط في مصر، ودخل في مرحلة نفسية معتمةٍ، فلا هو في العير ولا هو في النفير. أهمل مجالسَ كافور، فما عاد يتردد عليها، وحين كان يطلب منه قصيدة مادحة كان الشاعر الحزين يرفض القول والنشيد فلا ينقاد للطلب. وهجَر عِشرةَ الناس، ولقاءَهم، وصار ينفرد بذاته، ويخلو بنفسه، ويجتر آلامه، ويرسم الخطط التي تنقذه من هذا الشَّرَك الذي أوقعه به كافور.

وبدأ المرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً، ويضطرب ويزداد اضطراباً، ثم راح يقذف بالزبد ، ويتعالى صوت جَيَشانه .. وقبل أن يطفح الكيل، جاء إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان .. وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة فبين كافور خشيته من شهرته وطموحه سيما مع الولاية

وسواء أكان رد كافور عنيفاً أم لا، فهذا لا أهمية له، فلن يخدع الشاعر بعد الآن لقد كانت نقمته على الرجل الملوّن المخادع ، وخيبة أمله في انهيار مشاريعه عظيمة .

تداولية الحوارفي النص الشعري

لعل أكثر الأشياء غموضا فيما يتعلق بالنص الشعري هوطرفاه فمن المتكلم؟ ومن المستمع؟ وما العلاقة بين المخاطبات الموجودة داخل قصيدة المتنبي؟ والمخاطب المقصود؟ ثم كيف كان تفاعل هذه العناصر مع جمهور القراء والمستمعين للإجابة عن هذه الأسئلة اخترنا تقسيم هذه القصيدة إلى المحاور الآتية:

1-الأطراف المتخاطبة في قصيدة المتنبي:

تنقسم إلى قسمين:

-أ-المتنبي وجمهور المتلقين، فقد وجه الشاعر قصيدته التي لحمتها هجاء كافور الإخشيدي إلى عموم المتلقين في عصره من أجل وضعهم أمام الصورة التي كان يحياها في علاقته مع كافور الإخشيدي والتي انقلبت رأسا على عقب؛ حيث انتقلت من مدح وإطراء إلى هجاء لاذع مقذعّ، مما يجعل المتلقين القدامى والمحدثين يتساءلون عن سر هذا التحول.

-ب- المتنبي وكافور الإخشيدي: تذكر مصادر التاريخ أن كافور الإخشيدي لما توصل بهذه القصيدة آثر عدم فتحها للوقوف على ما تضمنته نظرا لعلمه المسبق بالعلاقة التي يطبعها التوتر مع المتنبي، وللإرهاصات المسبقة التي جعلت حدس كافور يتنبأ بإمكانية احتوائها على الهجاء، سيما وأن المتنبي شاعر صاحب لسان لو وضعه على

حجر لفلقه، غير أننا نفترض احتمال وقوع الشق الثاني ألا وهو وقوف كافور الإخشيدي على ما احتوته القصيدة من هجاء، سيما وأن القصيدة قد طارت كل مطار، وبعض أبياتها صارت أمثالا سائرة، كقوله " لا تشتر العبد إلا والعصا معه" " إن العبيد لأنجاس مناكيد" معرّضا بالعبودية التي كان عليها كافور الإخشيدي.

2-الأنظمة **التواصلية وتداولية الشعر:**

يعتمد النظام التواصلي الشعري في هذه القصيدة على آليتين هما الإيقاع والمجاز، وبتلاحم هاتين الآليتين يمكن أن نطلق على هذا النظام: النظام الإيقاعي التخييلي، فأما الإيقاع فحسبنا منه أن هذه القصيدة نظمت على بحر البسيط التي استوعبت غرض الهجاء، كما أشار إلى ذلك حازم القرطاجني، وأما الجانب التخييلي، فقد رصع المتنبي قصيدته بصور شعرية تنتقل بين تصوير حاله تارة إلى الحط من كرامة المهجو تارة أخرى. ومثال الأولى قوله في البيت الخامس:

أصخرة أنا مالي لا تحركني   هذي المدام وهذي الأغاريد

فلم يعد للخمر ولا لسلطان العيد عليه تأثير. ومثال الثانية قوله في في البيت الثامن عش من القصيدة:
وأن ذا الأسود المثقوب مشفره   تطعه ذي العضاريط الرعاديد

حيث كنى بالمشفر وهو للبعير على كافور الإخشيدي الذي كان أسود اللون غليظ الشفاه مشققهما، والهجو بالمشافر الغليظة دأب عليه الشعراء العرب كما قال أحدهم:

فلو كنت ظبيا عرفت قرابتي   ولكن زنجيا غليظ المشافر(محفوظ)

3-قصيدة المتنبي وقواعد التخاطب:

إذا علمنا أن علماء التداوليات أمثال غرايس، ولفنسون، ولايكوف، وطه عبد الرحمن قد قعدوا لمبادئ التخاطب كمبدأ التعاون، والتأدب، والمواجهة، كل ذلك من أجل إنجاح العملية التواصلية فإننا نجد المتنبي قد خرق جميع هذه القواعد، مراعاة للمقام التداولي المنبني أساسا على الهجاء. ومن أبرز الأبيات التي خرق فيها المتنبي قواعد التأدب مع كافور الإخشيدي خصوصا.

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد

جوعان يأكل من زادي ويمسكني   لكي يقال عظيم القدر مقصود

وهذه الأبيات وغيرها مما لم نذكره تضع من قيمة كافور الإخشيدي، وترفع قيمة الشاعر المتنبي، خاصة إذا علمنا أنه كان يطمع في الملك، وهو القائل:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنّا لاحقين بقيصرا

فقلت له لا تبك عيناك إنما   نحاول ملكا أو نموت فنعذرا (محفوظ)

3-أفعال الكلام وتداولية النص الشعري:

إن القصيدة هي فعل كلامي شعري تتجسد مكوناته في:

1- الفعل القولي: ويتكون من التلفظ، الدلالة، الإيقاع.
2- الفعل الإنجازي، ويتكون من فعلين إنجازيين، الفعل الأول صرح به المتنبي ويتجلى في خيبة أمله المعقود على كافور والتي دفعته إلى فعل إنجازي ثان طغى على القصيدة وهو الهجاء.
3- الفعل التأثيري: ويتجلى في الأثر الواقع للقصيدة على المتلقي، حيث جعله يتضامن مبدئيا مع المتنبي الذي نقل همومه ودواخل نفسه في علاقته المضطربة مع كافور ثم إقناعه بنذالة ووضاعة قدر الإخشيدي الذي ترقى من من عبد يباع ويشترى إلى حاكم مصر الإخشيدي وتولى حكم مصر بعده.

ومما أورده غرايس ما وسمه بتنميط العبارة وقسمه إلى قسمين: المعنى الصريح والمعنى الضمني، ونجد له مثالا في قول الشاعر عيد بأية حال عدت يا عيد

فالمعنى الصريح يتجلى في مكون المحتوى القضوي وهو غربة الشاعر في يوم العيد، وفي مكون القوة الإنجازية الحرفية في " أي" الاستفهامية.

وبالنسبة للمعنى الضمني فهناك معنى عرفي هو الاقتضاء أي اقتضاء حال الشاعر الفرح والسرور يوم العيد لا العكس، ومعنى تخاطبي استلزامي وهو تمني الشاعر تحسّن حاله الذي اعتاده عند مقدم كل عيد.

مقصدية الشاعر:

ترتبط المقصدية بالمتكلم و بما يدور في خلده باستمرار أثناء إصداره لملفوظاته، حيث يرتبط هذا المفهوم بكل ما من شأنه أن يحفّز المتكلم على تحريك العملية التبليغية، سواء ارتبط ذلك بما تم التصريح به من ملفوظات أو لم يرتبط، وتكتنفه علاقة، أيضا، بوظيفة المتلقي الأساسية، كمساعد في تأويل الملفوظات أو في التبليغ عموما؛ فمن الناحية المنهجية، يلعب القصد دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص، باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل، في هذا المجال، أن يبحث عن هذه المقاصد في كل شبر من ملفوظات المتكلم، هذا من من جهة، وفي مختلف الظروف التي أسهمت في صدور الملفوظات، من جهة أخرى، وفي هذا المجال، لا يمكن الحديث عن انسجام الخطاب، إلا بالتحرر من الخطابات ذاتها، والركون إلى معرفة القصد الذي أصدر هذه الخطابات؛ تقول آن روبول: « إنه لمن تحصيل الحاصل أن نقول إن مفهوم الحالة الذهنية، أو بمعنى أدق، القصد، يشكل محور إنتاج وتأويل الملفوظات والخطابات »[15] وتذهب إلى أبعد من ذلك، بتصريحها إن تأويل الخطابات يتوقف نهائيا على تأويل الملفوظات الذي يتوقف تأويلها بدوره وبصفة كلية، على معرفة القصد، وهي في هذا السياق، ترفض اللجوء إلى المكونات الداخلية للملفوظات، في تتابعها أو تباعدها، للوصول إلى وضع تفسير منطقي ووجيه للخطاب؛ وعليه فهي تشطب بجرة قلم النظريات الشكلية[16] التي تنطلق في تأويلها للخطاب من إعادة الصياغة والسرد والشرح والتفسير...التي تعتمد بدورها على الروابط والعوامل الحجاجية وأزمنة الأفعال وغيرها...

[15] Armengaud F. (1985), la pragmatique, Collection que sais-je ? P.U.F, .Paris

[16]Coste D., Gallisson R. (1976), le dictionnaire de didactique des langues, Hachette, Paris

وقد انطلقت آن روبول، في منهجيتها لبناء نظرية تعتمد على القصد لتأويل الخطابات من تمييز ويلسون وسبربر[17] بين نوعين من المقاصد:

– القصد الإخباري، الذي يكمن في رغبة المتكلم في إظهار مجموع ما يضطلع عليه للمخاطب.

– القصد التبليغي، وهو أن يعلن المتكلم صدقه بحقيقة قصده الإخباري.

وبالنسبة لقصيدة المتنبي فقد قصد من خلالها بيان حاله، بعد فشله في بلوغ منيته، وصب جام غضبه على كافور حيث وصفه بأقذع النعوت والصفات كما مر معنا سابقا.

إضافات الدكتور حسن بواجلابن على النموذج التطبيقي (قصيدة المتنبي في هجو كافور):

التحليل التداولي لقصيدة المتنبي:

1- القصدية: المتكلم وما يدور ي ذهنه أثناء إنجاز ملفوظاته، يجب أن تشبع المقاصد ويبحث عنها داخل ملفوظات المتكلم وداخل مختلف الظروف.

1-1القصد الإخباري: رغبة المتنبي بالإخبار (إنّي نزلت بكذابين...البيت)

(جود الرجال من الأيدي وجودهم.... البيت)

1-2القصد التبليغي: إعلان المتنبي صدقه بحقيقة قصده الإخباري (أكلما اغتال عبد السوء سيده...البيت)

نلاحظ انسجاما بين أساليب المتكلم والطريقة التي يصوغ بها ملفوظااته.ذ

الاستراتيجية التخاطبية بين كافور والمتنبي:

استعمل أوركيوني علاقات التموضع أثناء العملية التفاعلية، نلاحظ أن المتنبي كمسيطر قد تموضع بفضل مجموعة من الإمكانيات الذاتية.

- قدراته على على النظم في مختلف الأغراض.

---

[17]El Halfaoui M. (1998), problématique de la conception actualisée d'un niveau seuil arabe, thèse pour le doctorat es linguistique, 1er volume, université Lyon

- سمو شاكلة نظمه الشعر.

- سلطة الشعر واللغة.

- كبر طموحه.

تموضع كافور:

هو ملك مصروقد تعامل بمنطق الإلزام مع المتنبي.

التفاوضات:

الخضوع أو تبادل الأمكنة.

ماهي الخطة التي انتهجها كافور اتجاه المتنبي؟

(سورل) وضع القواعد التأسيسية التي تحول للأمر القوة على إصدار فعل الأمر، وهي أخلاقيات الحوار. التي تحمل الجميع على احترامها، فيخضع المأمور.

وما هو البناء الاستدلالي الذي بناه كافور والمتنبي؟

كل عملية تبليغية لها تأثير، والقصد هو المحدد لنسق الخطاب الشعري.

مسألة التأثير في الآخر تقتضي استراتيجية (أما الأحبة فالبيداء دونهم....) هذه الأداة تدخل في نطاق الإستراتيجية.

-الإستراتيجية مفهوم حربي يبقي على حمولته الحربية لأن الشاعر في وضعية دفاع عن النفس.

إن الإستراتيجية هي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإنتصار على العدو.

تنقسم الإستراتيجية إلى الأقوال والسلوكات:

الأقوال : هجاء المتنبي كافورا.

السلوكات: احتقار الشاعر للمهجو

النيل منه الإنتقام منه

- الإستراتيجية يختارها المتكلم وهي من اختيار كافور لأنه هو من اختار إخلاف وعد المتنبي.

- من سلوكات كافور: الوعد، إخلافه، زئبقية المواقف.

أفعال اللغة داخل القصيدة:

الأفعال الإنجازية الواردة داخل القصيدة:

-الإستفهام

(إسقاط أداة الإستفهام من عيد بأية حال عدت يا عيد)

- الترجي
- التحدي
- النهي

الأفعال الإخبارية:

- الإقناع
- الإنفعال
- و الإخجال

استراتيجية المتنبي:

سأل من دون أداة الإستفهام، وهو دليل على التوتر، وهو استلزام تخاطبي خرج إلى دلالة الضجر.

- طلب العلو ورفعة الشأن
- النزوع إلى حياة الكرامة (البيت الشعري الأخير)

من استراتيجيات المتنبي

توضيحه فضله على كافور (جوعان)

أفعال اللغة :

الترجي: فليت بيننا بيدا دونها بيد...

النهي : لا تشترالعبد إلا والعصا معه...

التوكيد: إن العبيد لأنجاس مناكيد...

من استراتيجياته قول الشاعر:

أهل مصر جبناء خافوا من كافور(نامت نواطير مصر)

وهذه استعارة حجاجية

التأسف (ما كنت أحسبني أبقى إلى زمن....)

الإنفعال: (نامت نواطير مصر...)

الوصف:

جوعان يأكل من زادي

الإخجال: (العبد ليس لحر صالح وأخ...

لم يعبأ المتنبي بأخلاقيات الحوار.

ثانيا: ملامح المنهج التداولي عند الجاحظ:

تتجلى ملامح التداولية عند "الجاحظ" من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف، واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية التي تمثل جانباً مهماً في التداوليات الحديثة، يقول الجاحظ: "أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان، اعتماداً على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

1 ـ الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).

2 ـ الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

3 ـ الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار"[18].

فكل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل في الدرجة الأولى، والإقناع، والتأثير، وإيصال المعنى، وتقديم الفائدة، ومنه فإن غايتها منفعية بحتة.

يقول الجاحظ: "المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتغلغلة في نفوسهم... مستورة خفية، وبعيدة وحسية، ومحجوبة مكبوتة... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه.. إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تعود بها إلى الفهم وتجليها للعقل... وتجعل المهمل معبداً، والمقيد مطلقاً... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح...".[19]

ثالثا: ملامح المنهج التداولي عند عبد القاهر الجرجاني:

في تأملنا لكتابات عبد القاهر الجراحي – أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز– نجده يبسط فيهما نظريته في تأليف الكلام والمُسماة بنظرية النظم، قائلا " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض." وحتى تتبين هذه النظرية يمكن رصدها في مستويات ثلاث تؤلف الدرس البلاغي عند الجرجاني.

---

[18] - البيان والتبيين، الجزء الأول، ص75.
[19]- دلائل الإعجاز: ص 49

- **المستوى النفسي**: وهو ما تقتضيه النفس من نظم للكلم بحسب تربيتها فيها يقول الجرجاني موضحا ذلك: " فأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نَظمِها آثار المعاني، وتُرتِّبُها على حسب تَرَتُّبِ المعاني في النفس.".

- **المستوى النحوي:** وهو المستوى الذي ترتبط فيه أجزاء الكلام بمجموعة من العلاقات النحوية، أو يعلق بعضها ببعض، يقول موضحا ذلك: " لا نظمَ في الكَلِمِ ولا ترتيبَ حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسببٍ من تلك... فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله؟. وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا مَحصُول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر... " [20]

- **المستوى التداولي**: وهو المستوى موضوع الدراسة؛ ففي هذا المستوى يؤكد الشيخ عبد القاهر على ضرورة الاستعانة بالآليات التداولية غير اللسانية في التحليل، من مثل العناية والاهتمام و الأغراض و المقاصد و مراعاة الظروف و الملابسات التي تحيط بالكلام، فبذلك يَحسُنُ الكلام و تكون المزية، لأن المعاني و التراكيب تتعدد بتعدد المقامات، ذلك أنه كلما تعددت المقامات، تباينت المعاني واقتضت تراكيب تناسبها، وهي التي سُميت مقتضيات الأحوال.

وعلى هذا الأساس فلمعرفة المعنى المقصود، يجب استدعاء سياقات ومقامات الكلام باعتبارها محددات ومخصصات له، فالمعاني لا تتحدد إلا بحسب سياقها، ويظهر هذا جليا في تأكيد الجرجاني على أنه ليس للكلمة حسن في ذاتها ولذاتها، وإلا لحسنت أبدا أو لم تحسن أبدا، وإنما تكتسي الكلمة المزية وخلافها من خلال موقعها مع أخواتها، أي من خلال السياق.

يقول الجرجاني موضحا أهمية الاستعانة بالعوامل التداولية، أثناء حديثه عن حقيقة التقديم والتأخير" واعلم أنا لم نَجدهُم اعتمدُوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام... و قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يُقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذِكْرَه أهم، من غير أن يُذْكَر، من أين كانت تلك العنايةُ؟ وبِمَ كان أهمَّ... وكذلك صنعوا في سائر الأبواب، فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار والإظهار، والإضمار والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرَك فيما غيرُه أهمُّ لك". (دلائل الإعجاز: ص 107-109).

[20]- نفسه: ص 55

الأبعاد التداولية لبلاغة حازم القرطاجني:

إن المتصفح لكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء والمتأمل لقضاياه النقدية يجده كتابا منفتحا على المجال التداولي، ومن القضايا التي تكشف هذا الانشغال:

أ- إلحاحه على وظيفة النص الشعري، بالنظر إلى مقاصده ومنجزه.

ب- اهتمامه بالسياق التواصلي الذي يدخل في سياق التبليغ الخطابي.

ج- انشغاله بقضية التداخل بين الخطابات، من خلال المقارنة بين التصديق والتخييل.

د- عنايته بالغرض بوصفه معيارا موجّها في قراءة النص الشعري.

1- الوظيفة البلاغية: تركز الوظيفة البلاغية على المقاصد لتحقيق الإقناع، وهو ما يميزها عن الوظيفة الشعرية، فالتصور الذي ينظر إلى النص من زاوية وظيفته البلاغية لا يهتم باللغة كبنية مقصودة لذاتها، ولكن باعتبارها فعلا يتقصد التأثير، مما يجعل الشكل اللغوي يتحول إلى حلية أو زينة تابعة للوظيفة، وليست هذه الوظيفة سوى ما يريده المتكلم من المتلقي، أي الاستيعاب أولا ثم الاقتناع ثانيا...[21]

إن نظرة حازم للوظيفة لا تخرج عن هذا التصور، فهو أيضا ينظر إلى النص الشعري من زاوية نجاعته في تحقيق مقاصد منجزه، ومدى قدرته على التأثير في المتلقي وإقناعه، وهوما يجعله يولي عناية خاصة لما يمكن للكلام أن يمارسه من سلطة على متلقيه.

يعتبر حازم أن "من شروط البلاغة حسن الموقع في نفس الجمهور" ...إذ المقصود بالأقاويل الشعرية، فيما يقول حازم:" إنهاض النفوس إلى فعل شيء، أو طلبه، أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله، أو طلبه، أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح أو جلالة أو حسن"[22]

أن الوظيفة البلاغية لا يمكن إدراكها إلا من خلال الاهتمام بمختلف العناصر المكونة لعملية التواصل الأدبي، وهو ما دفع حازما –انطلاقا من نظرته للنص الشعري من منظور تواصلي- إلى الاهتمام بالأطراف الثلاثة المؤسسة للتواصل الأدبي، ممثلة في المبدع، المتلقي والنص.

7– الأبعاد التداولية لبلاغة حازم، مقال سابق، ص 268

[22]– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 3،1986،ص 25.

2- **المقام التواصلي:** إن العناية بالمقام، نتيجة حتمية للتصور البلاغي العام الذي يصدر عنه حازم، إذ الالحاح على الوظيفة، والنظر إلى النص الشعري من زاوية التواصل، يفضي إلى بروز فكرة ضرورة ربط المقال بالمقام، وملاءمته لمقتضى الحال، من أجل تحقيق المقاصد، وهو ما يجعل المقام يدخل في سياق "التبليغ الخطابي"، بوصفه نسقا من القيم والإجراءات العملية الرامية إلى إحداث تغيير في الأنساق السلوكية والاعتقادية للمتلقي.

وقد عني حازم بالمقام التواصلي، بوصفه مقياسا بلاغيا يساعد على فهم النص وتقدير نجاعته، حيث يطالب الشاعر بمراعاة الظروف المادية والاجتماعية التي يتم في إطارها إنجاز النص(مقتضى الحال الخارجي)، وما يترتب عن ذلك من مخاطبة كل طبقة من الناس وفق منزلتها الاجتماعية وحظها من الجاه والسلطان، يقول:" يجب أن يقصد في مدح صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحد ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع عنها" [23]

ويدعو حازم الشاعر إلى مراعاة مقتضيات الأحوال الخارجية، حتى لو طلب منه ذلك استعمال الأقاويل الكاذبة، والمبالغة في الوصف، وذلك حين يرى " الأحوال المقدرة التي يتخيلها أهز من الأحوال التي وقعت، فيبني قوله على على الحال المخيلة الممكنة دون الواقعة، ليكون الكلام أشد موقعا من النفس وعلوقا بالقلب"[24]

وقد ترتب عن اعتماد حازم للمقام مقياسا بلاغيا أن أصبحت الأحكام النقدية نسبية، تتحول بتحول المقام:" أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى وفق المواضع، فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع، ويقبح في موضع ما يحسن في موضع"[25]

كما ولد الاهتمام بالمقام مفهوم الاختيار، حتى يتمكن الشاعر من الملاءمة بين المقام والمقال" ولا يزول ذو المعرفة بتصاريف الكلام، والدربة بتأليف النظام، يضع اللفظة، ويبدل صيغة مكان صيغة، حتى يتأتى له مراده، وينال من كمال المعنى بغيته"[26]

---

[23]- منهاج البلغاء، ص 170.
[24]- نفسه: 82
[25]- نفسه، ص 88
[26]- نفسه، ص 178

وفي الختام نود الإشارة إلى أن حازما ساهم ومن خلال آرائه وجهوده النقدية في بناء نظرية التناسب التي مكنت الباحثين في حقل البلاغة المعاصرة من الوقوف على معالم التوجه التداولي الذي طبع تصور حازم لبلاغة النص الشعري.

. إضافات من الدكتور الحسن بواجلابن في الجانب الملامس من التراث للتداولية:

تداولية العلوم العربية:

اهتم العلماء العرب القدماء بالتداولية وبيان ذلك ما يأتي:

أصول الفقه: نظر الأصوليون لتداولية الخطاب، فعرضوا لشروط تحقق الخطاب كما هو متداول طبيعيا، من مخاطب (الله تعالى) إلى مكلّف يعرف مقاصد المكلف بالإضافة إلى وجود قضيّة، أو فعل يكون مناط التواصل.

واستعمل علماء الأصول مفاهيم:

الإقتضاء، والمنطوق والإستلزام...

المنطق: عالج المناطقة مسألة الحجاج، والمنطق الحواري، والإقناعية، والتحاور، والاستلزام، والاقتضاء،والمقصدية....

التفسير: اهتم المفسرون بمعرفة أسباب النزول، والمكي والمدني، والحضري والسفري، والصيفي والشتائي....

النحو: منح النحاة العرب الأولوية لما هو تداولي، فقد بنى سيبويه طريقته في الدراسة على المخاطب، إذ على المتكلم أن يتحاشى الإلتباس حتى لا يسيء المخاطب قصده، كما يلزم المتكلم أن يضع في حسبانه علم المخاطب، فيحذف ما يؤدي إلى التكرار، لذا قال سيبويه مثلا عند دخول الكاف على (ويه) (وإنما أدخل- أي المتكلم- الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعني، وإنما حذفها في الأول استغناء بعلم المخاطب أنه لا يعني غيره) الكتاب\ج2 ص244

علل سيبويه قواعده اعتمادا على ما ارتبط بالمتكلم والمخاطب وقد اعتمد البلاغيون على جهوده.

البلاغة: اعتنى البلاغيون العرب القدماء بظاهر الاستلزام التخاطبي فدرسوا خروج أساليب الإنشاء عن مقتضى الظاهر، واحتكموا إلى السياق، وقرائن الأحوال، والحالة النفسية للمتكلم، والمخاطب كلّما تم عبور الأساليب إلى دلالات جديدة.

إن البلاغة العربية تداولية بطبعها وسنشير إلى التصور التداولي الذي قدمه الجاحظ والجرجاني.

وضع الجاحظ إطارا سيميائيا للعلم الذي سيتولى مهمة الإقناع حيث قال: (وكان يقول أول العلم الصمت، والثاني الإستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره) البيان والتبيين ، 2\198

خاتمة:

نتبين من خلال ما تقدم مايلي

أ. أن المنهج التداولي جاء لاستكمال الشق الذي توقفت عنده اللسانيات التقليدية، التي كانت تهمش مجال استعمال اللغة دون ربطها بمحيطها الثقافي والاجتماعي والسياسي...

ب. وأن التداوليات قد قدمت وتقدم خدمة جليلة للغات الطبيعية من خلال الافاق الواعدة التي رسمتها في تحليل الخطاب بنوعيه العادي والأدبي

ت. وأن للعلماء العرب السابقين إسهامات عظيمة في الحقل المعرفي للتداوليات يصلح ان يكون أرضية ينطلق منها التداوليون العرب المحدثين بغية بناء صرح تداولي عربي خالص مفهوميا وتنظيريا وتطبيقيا.

لائحة المصادر والمراجع:

1- -التداوليات: علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي علوي،عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الثانية 2014.

2- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1983

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1986

4- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، ط1، 2007

5- نعيمة الزهري، التداوليات : علم استعمال اللغة، مقال بعنوان: "الأفعال الواجبة في كتاب سيبويه الأمر- النهي نموذجا

6- مصطفى الغرافي، الأبعاد التداولية لبلاغة حازم، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد1، يوليوز-سبتمبر 2011

7- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية...نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق الدكتور محمد العمري، أفريقيا الشرق، 1999.

8- المقاربة التداولية، فرنسوا أرمنكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الأنهاء القومي، دط، دت.

9- "بلاغة الخطاب وعلم النص"، صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة، يناير 1978.

10- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ط7، 1998.

11- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

12- نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، عبد جسوس، ط2، المكتبة الوراقة الوطنية، مراكش، 2008.